الأسلوب القرآني
في التربية الايمانية
في ضوء قصة سيدنا موسى عليه السلام
مع العبد الصالح في سورة الكهف

The Qur'anic method in faith education
In light of the story of our master Moses
With the righteous servant in Surat Al-Kahf

أ. م. د عبد الله إبراهيم رحيم الشمري
Assistant. Professor
Dr. Abdullah Ibrahim Rahim AlShamri
جامعة الانبار / كلية التربية للبنات
University of Anbar /
College of Education for Girls

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبع هديه الى يوم الدين.

وبعد؛ فان القران الكريم جاء هداية للناس ، ولا يزال بفضل الله منهلاً فياضاً ، ومورداً عذباً تتجدد الحاجة إليه يوماً بعد يوم ، يفيء الناس إليه ويحتمون بحماه كلما ذاقوا مرارة غيره من الأفكار المنحرفة والمذاهب الهدامة ، فيجدون فيه الدواء الناجع من الاسقام ، وكم حاول أعداء الإسلام أن ينالوا من هذه الشريعة ويصرفوا الناس عنها ، فباءت محاولاتهم بالفشل ، ولم ينقص من قدرها ، فبقيت الشريعة في عليائها وعزها ، ثابتة الأركان محكمة البنيان ، وليس هذا غريباً على هذه الشريعة التي خصها الله بالاستمرار وحباها دوام البقاء ، وأودع فيها من المقاصد والوسائل ما يُصلح الناس في كل زمان ومكان ، ومن وسائلها العظيمة ما تضمنه القرآن الكريم من قصص تعنى بالإنسان في نواحيه كافة ومنها تربية الروح والعقل والجسم ، كما لها دور فعال في غرس الايمان والقيم الفاضلة في الفرد والمجتمع ، وهذه القصص جاءت بأسلوب مهم في بيان أهمية التربية في الإسلام واسسها ، ونظراً لأهمية التربية فقد تناولها المتخصصون كل وفق اتجاهه الفلسفي ، فنظر إليها علماء النفس على انها رغبات ودوافع وحاجات وسلوك ، ورآها علماء الاجتماع باعتبارها اهتمامات ومعتقدات وحدود ، أما التربويون فانهم نظروا إليها بانها سلوك ومعايير ومقاييس ، ومجموع هذه الآراء مستقاة من الفكر الغربي الذي لا سيطرة للمربين عليه ، بخلاف النظرة الإسلامية للتربية التي تعدها من ثوابت الشريعة الدائمة النابعة من مصدر إلهي واحد هو القرآن الكريم ، وبناء على هذا ولبيان أهمية التربية اخترت موضوع يخص العلم والتعلم من خلال قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف لأكشف جانباً مهماً من جوانب التربية في الإسلام ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وذكرت في نهاية البحث المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي المتواضع هذا..

أما المقدمة فقد تضمنت سبب اختيار الموضوع وأهميته وخطة البحث أما التمهيد فقد تضمن نبذة مختصرة عن المدارس التربوية المعاصرة والمنهج الإسلامي أما تقسيم المباحث فكان على النحو الآتي..

المبحث الأول: آداب الصحبة ومنافعه

المبحث الثاني: صفات العالم في النص القرآني

المبحث الثالث: صفات العالم في النص القرآني

أســأل الله التوفيق والسداد وصَلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

❊ ❊ ❊

الملخص

تضمن البحث النظرة الإسلامية للتربية التي تعدها مــن ثوابت الشريعة الدائمة النابعة من مصدر إلهي واحد هو القــرآن الكريم ، وبناء عــلى هذا ولبيان أهمية التربية اخترت موضوع يخص العلم والتعلم من خلال قصة موسى عليه السلام مــع العبد الصالح في ســورة الكهف لأكشــف جانباً مهــماً من جوانب التربية في الإســلام ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقســمه على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وذكرت في نهاية البحــث المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي المتواضع هذا..

مــا المقدمة فقد تضمنت ســبب اختيار الموضوع وأهميته وخطة البحث أما التمهيد فقد تضمن نبذة مختصرة عن المدارس التربوية المعاصرة والمنهج الإســلامي أما تقســيم المباحث فكان على النحو الآتي..

المبحــث الأول: آداب الصحبة ومنافعه ، المبحث الثــاني: صفات العالم في النص القرآني ، المبحث الثالث: صفات العالم في النص القرآني.

❊ ❊ ❊

ship and its benefits.

The second topic: the qualities of the scientist in the Qur'an text

The third topic: the qualities of the world in the Qur'an text.

❊ ❊ ❊

Summary

The research included the Islamic view of education, which it considers one of the constants of the permanent Sharia stemming from one divine source, the Noble Qur'an. Based on this and to demonstrate the importance of education, I chose a topic related to knowledge and learning through the story of Moses, peace be upon him, with the righteous man in Surat Al-Kahf to reveal an important aspect of education in Islam, and the nature of the research necessitated that I swear it on an introduction, an introduction, three topics and a conclusion, and I mentioned at the end of the research the sources and references that I relied on in my modest research..

As for the introduction, it included the reason for choosing the topic, its importance, and the research plan. As for the preface, it included a brief overview of contemporary educational schools and the Islamic curriculum. As for the division of the investigations, it was as follows..

The first topic: the etiquette of companion-

تمهيد

المدارس التربوية المعاصرة والمنهج الإسلامي

تعتمد المدارس التربوية لمعاصرة على الفلسفات التي لها نظرات في مجال التربية ، لان فلسفة التربية تحتل المركز الأول في الحقل التربوي ، ومن خلال ذلك تتضح أهداف ومناهج ، تكون نسبة الصواب والخطأ فيها بالقدر الذي يكون في فلسفة التربية نفسها[١] ، وعلى هذا الأساس تعددت الفلسفات البشرية التي أعتمد عليها في صياغة المناهج ، وأهم تلك المدارس:

١ - المثالية: تقوم هذه الفلسفة على أن العقل أو الروح التي هي العالم الحقيقي وما سوى ذلك لا وجود له إلا ما يدركه العقل ، واقترابه من عالم المثل ، فالمنهج التربوي على هذه الفلسفة لابد للتربية من أن تشتمل على المواد الدراسية النظرية التي تساعد على النمو العقلي ، وتستبعد المواد التطبيقية لأنها مرتبطة بالعالم المادي[٢].

٢- الواقعية: هذه الفلسفة آمنت بالواقع المادي الذي تقع عليه الحواس ، خلافاً للمثالية التي لا ترى إلا الروح والعقل وأهملت المادة ، فالحقيقة هي الواقع ، ومعيار صدق الحقيقة هو انطباقها على الواقع ، فالمنهج التربوي بناءاً على هذه الفلسفة لابد أن يشمل كل موجود في العالم الواقعي ، يستمد من حاجة المتعلم ومطالبه ، ومن واقع المجتمع وتحدياته ، وأهم أهداف الواقعية هو تنمية شخصية الانسان من جميع جوانبها وفقاً لأبعاد المجتمع وأنشطته[٣].

٣- الوجودية: يجمع القائلين بهذه الفلسفة على أن الانسان هو محور التفكير ، فلكل فرد عالمه الخاص ، يختار عالمه وصفاته وقيمه الأخلاقية ، والملامح العامة للمنهج التربوي عندهم هو الايمان بالفرد ، فالفرد عندهم هو محور العملية التعليمية ، لذا أوجبوا ألّا يكون هناك منهج محدد يفرض على المتعلم ، فالمتعلم عندهم أهم من المنهج ، ولتحقيق هذا الأمر أن لا يعطي اعتبار للدين والأخلاق[٤].

يفهم من الفلسفات المتقدمة ان المثالية ركزت على روح الانسان وتجاهلت العالم المادي ، وعلى العكس منها أكدت الواقعية على أن الانسان مادة حية ، والعقل تابع للمادة ، أما الوجودية فاعتبرت

(١) فلسفة التربية الإسلامية: ماجد عرسان الكيلاني ، دار المنارة ، الرياض ، ١٩٨٧م: ١٤.
(٢) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية: ماجد عرسان الكيلاني ، دار المنارة ، الرياض ، ١٩٨٧م: ١٧١.
(٣) ينظر: في فلسفة التربية – نظرياً وتطبيقياً: أحمد علي الحاج ، دار المناهج ، عمان ، ٢٠٠٢م: ٧٠.
(٤) ينظر: أسس التربية: ٢٢٥.

عقل الانسان هو المقرر للحرية والاختيار ، دون الاعتبار للدين أو المبادئ المجتمعية ، فاعتبرت أن تجربة الانسان هي مصدر المعرفة ومصدر الاخلاق. أما التربية في الإسلام فتختلف عن تلك الفلسفات. فهي من جهة المنهج يشكل اقرأن الكريم والسنة النبوية المصدرين الأساسيين اللذين تستقي منهما التربية الإسلامية[١] ، وأما الهدف فهو إعادة بناء المجتمع من خلال معالجة سلوك أفراده ، بحيث يتربى المواطن تربية تتلائم وتطلعات هذا المجتمع فيكون مواطناً صالحاً ، وهذا ما جعل التربية الإسلامية تنفرد عن غيرها من المناهج الأخرى في الهدف المنشود ، فهو في اعداده للإنسان الصالح تسقط عنده الاعتبارات التي صنعها البشر مثل الجنس والقبيلة والوطن والدولة ، وذلك لينطوي الانسان تحت قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢] وبذلك تتحقق من خلال هذا الهدف العبودية لله في حياة الانسان الفردية والاجتماعية[٣] ، وأما وسيلة هذا المنهج فقد جعل الإسلام لها عدة تدابير مثل: التربية بالقدوة والتربية بالموعظة والتربية بالسلوك وغيرها[٤].

المبحث الأول

آداب الصحبة ومنافعها

من الأسس التي قامت عليها التربية الإسلامية هي موضوع انتقاء الصاحب تبعاً لقانون الأثر والمؤثر ، لأن كل انسان في هذه الحياة لابد أن يكون متأثراً ومؤثراً بنسب متفاوتة ، لذا كانت التوجيهات النبوية مؤكدة على حسن اختيار الصاحب تبعاً للآثار المترتبة على ذلك ، ومن تلك التوجيهات قوله عليه الصلاة والسلام (الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل)[٥] وعلى هذا الأساس كان حرص المربون من السلف ف توجيه طالبي العلم عملية الانتقاء.

ووضعوا لذلك جملة شروط أوصوا تلاميذهم في العمل على تحصيلها حتى يتحقق السلوك الديني الصحيح ، ومن تلك الشروط ما ذكره الامام الغزالي حول إتخاذ الصاحب (ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته ، وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة ...

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية: خالد حامد الحازمي ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٠م: ٢١٩.
(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٣) ينظر: أصول التربية الإسلامية: عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٧م: ١٥٩ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق: ١٦٧ وما بعدها ، أصول التربية الإسلامية للحازمي: ٣٧٧.
(٥) سنن أبي داود: سليمان بن الاشعث (ت٢٧٥هـ) ، نشر مكتبة ابن حجر ، دمشق ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ٩٥٩ ، كتاب الأدب ، باب: ما يؤمن ان يجالس - رقم الحديث (٤٨٣٣) حديث حسن.

يجتمع فيها أغراض مختلفة ، إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ، ومنها الاستفادة من الجاه تحصناً به عن إيذاء من يشوش القلب ، ويصد عن العبادة ، ومنها الاستفادة من المال للاكتفاء به من تضييع الأوقات في طلب القوت ، ومنها الاستعانة في المهمات ، فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال ، ومنها التبرك بمجرد الدعاء ..)[1].

وقال غيره في موضوع اختيار الصاحب والحاجة إليه (فليكن صاحباً صالحاً دينا ورعاً ذكياً ، كثير الخير قليل الشر ، حسن المداراة ، قليل المماراة ، إن نسي ذكّره ، وان ذكر أعانه ، وإن احتاج واساه ، وان ضجر صبّره ..)[2] ، فكل ما تقدم من توجيه تربوي مداره على العقيدة الصحيحة التي هي المعيار في السلوك ، وما يكمن في النفوس من حسن الاعتقاد والانقياد ، ولتحقيق تلك الصحبة المطلوبة شرعاً تحدثنا الآيات القرآنية التربوية في قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف ، وتظهر الفوائد التي تنطوي عليها الصحبة من الارشاد السليم وما يترتب عليه من الخير والنفع ، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[3] فسيدنا موسى عليه السلام مع كونه من أولي العزم ومنزلته عند الله وامتيازه على غيره من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام بالتكليم ، إلا أنه في هذا الموضع أصبح طالباً للعلم ممن هو أعلم منه ، ولو لم يكن أعلم منه في مسائل مخصوصة لما قصده.

مع ما يترتب على ذلك الطلب من فوائد عظيمة تظهر أهمية العلم ومنزلة طالبه ، فطالب العلم في هذه الآية -سيدنا موسى عليه السلام- (راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من العبد الصالح ، فإحداها: أنه جعل نفسه تبعاً له لأنه قال (هل أتبعك) ، وثانيها: أنه استأذن في إثبات هذا التبعية فانه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك ، وهذا مبالغة عظيمة في التواضع.

وقوله (مما علمت) وصيغة من للتبعيض فطلب منه بعض ما علمه الله ، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع كأنه يقول له لا اطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك ، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك ، ورابعها: أن قوله (مما علمت) اعتراف بأن الله علمك ذلك العلم ، وخامسها: أن قوله (رشداً) طلب منه للإرشاد والهداية ، والإرشاد هو الامر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والظلال... ثم أنه عليه الصلاة والسلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع

(١) إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، نشر: دار الخير ، دمشق ، ط٤ ، ١٩٩٧م: ٢٥٨/٢ وما بعدها.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم : محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت٧٣٣هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٤م: ٨٣ وما بعدها.

(٣) سورة الكهف ، من الآية ٦٦.

الكثيرة من التواضع ، وذلك يدل على كونه عليه السلام آتياً في طلب العلم بأعظم أنواع المبالغة ، وهذا هو اللائق به ، لابد كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر ، فكان طلبه لها أشد ، وكان تعظيمه لأرباب العلم أكمل وأشهر..)[١] ، فهذا السبيل مثل للأمة في كيفية الطلب والتواضع لأهل العلم مهما بلغ الطالب من السعة والتبحر ، لان التواضع من صفات الكمال المطلوب في الطلب ، وهذه الحقيقة أمر بها الأنبياء ليكونوا قدوة لغيرهم في التعامل مع الغير.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم علو منزلته وكونه خير الخلق أمره ربنا جلّ وعلا أن يتواضع للمؤمنين مع كونه أفضل منهم فقال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] تعليماً لنا لاتخاذ سبيل التواضع منهجاً للتعامل مع الغير عالماً أو متعلماً ، وما الخلل الواقع في وقتنا الحالي من الانحطاط في المجال التربوي إلا بفقدان هذه الصفة العظيمة التي كانت سمة من سمات أفضل الخلق الأنبياء وتعاملهم مع الغير.

• **النصيحة فيما يستقبل من علم:**

قال تعالى ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[٣].

النصيحة من الأمور التي حثت عليها الشريعة وأكدتها في مواضع كثيرة من الكتاب والسنة ، لان التناصح إذا وضع في موضعه الصحيح يعود بالنفع العميم على الفرد والمجتمع ويترتب عليه الخير الكثير ، وخصوصاً إذا كان النصح من قبل العالم للمتعلم (وفي هذا أصل من أصول التعليم أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لاسيما إذا كانت في معالجتها مشقة)[٤].

الرجل الصالح في هذه الآية مع علمه بان الأنبياء عليهم السلام ومنهم سيدنا موسى يحكمون على الأشياء ظواهرها ، قدم له النصيحة قبل أن يرى ما لا يألفه من التصرفات ، فكانت تلك العبارة الموجزة تحمل معاني النصح بأسلوب التلطف حتى لا يقع سيدنا موسى بالتفصيل الذي قد يؤدي به الى الملل وعدم تقبل النصح ، مع التأكيد على نفي الصبر ، وذلك أن الذي سيقع من تصرفات العبد الصالح ليس له خبرة فيما يصنع ، وهو بذات الوقت محرك لقبول النصيحة لمعرفة ما سيقع جراء ذلك النفي[٥].

نعود الى موضوع الصحبة التي اقتضاها النص في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ١٢٩/٢١.

(٢) سورة الشعراء: آية ٢١٥.

(٣) سورة الكهف: آية ٦٧ – ٦٨.

(٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ١٠٨/١٥.

(٥) أساليب الحوار في سورة الكهف: عبد المعطي محمود أبو الوفا ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧م: ١١٣.

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[1] وهو الدلالة على الاشتراك المعنوي الحواري بين موسى عليه السلام وفتاه ، فضمير المثنى الذي جاء في الحوار (بلغا - نسيا - حوتهما - جاوزا - غداءنا - لقينا - سفرنا - أوينا - كنا - فوجدا) هذه الضمائر المثناة هي من مستلزمات الصحبة الحقة بين الاثنين ، وتدل على اشتراك الهدف الذي جاء من أجله السفر ، فالنسيان وان كان من الفتى وحده ، إلا أن الاشتراك بينهما في الوصول الى الهدف نسب إليهما معاً بسبب الصحبة[2].

قال الطبري (وانما جاز عندي أن يقال «نسيا» لأنهما تزوداه لسفرهما ، فكان حمل أحدهما ذلك مضافاً الى أنه حمل منهما , كما يقال: خرج القوم من موضع كذا وحملوا معهم كذا من الزاد ، وانما حمله أحدهم ، وكذلك إذا نسيه حامله في موضع قيل: نسى القوم زادهم فأضيف ذلك الى الجميع بنسيان حامله)[3].

قدم لنا النص السابق أهمية الصحبة في التوجه والسلوك ووحدة الهدف ، والاشتراك في الغاية المنشودة حتى كأنهما شخص واحد ، لأن الانسان الصادق مع صاحبه دائماً مجبول على الاشتراك وتنتفي تلك الصحبة إذا افتقرت الى ذلك الاشتراك ، كما أخبر النص والسياق أن دور الفتى يوشع بن نون قد انتهى في القصة ، لتبدأ قصة العالم والمتعلم. أما الى أين ذهب يوشع فيقول الماوردي (يحتمل أن يوشع عليه السلام تأخر عنهما ، لان الاخبار عن اثنين ، ويحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تبع لموسى عليه السلام ، فاقتصر على حكم المتبوع)[4] ، والأول هو الصحيح لعدم ورود ما يشير الى وجوده في النصوص التالية ، وبعدها يأتي وصف العالم الذي قصده موسى عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١) سورة الكهف: آية ٦١ - ٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي ومحمود حامد عثمان ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ١٤/٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ١٧٧/١٦.

(٤) النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ٥٥٨/٢.

المبحث الثاني

صفات العالم في النص القرآني

العالم أو المربي هو ذلك الشخص الذي يتعهد فرداً أو فئة معينة تعاهداً مقصوداً بهدف التكوين المنتظم، وذلك بالترقية في مراتب الدين علماً وعملاً ، وعملية التربية والتعليم تكون بين طرفين: جهة تعطي أخرى تأخذه قدوة ، وباختصار هي طريقة تُحتذى وثمرة تُرتجى[١] ، وليس أصلح في هذا من القرآن الكريم الذي هو هدى ورحمة، والذي قص علينا بأسلوب شيق ارتحال سيدنا موسى عليه السلام في طلب العلم ، فرسمت لنا سورة الكهف آداب العالم والمتعلم ، كتوجيه تربوي في الاقتداء للوصول الى الغاية المرجوة في التشريع ، فاذا كان ذلك لزاماً على من سبقنا ، فهو لنا هذه الأيام ألزم وذلك لخلو التربية من الأهداف ، فضلاً عن سيطرة اللامبالاة في الواقع المعاش ومن تغلب المكاسب المادية والشخصية على الأهداف التي نصت عليها التربية الإسلامية ، وبغية تحقيق الهدف المنشود لتحقيق التربية الإسلامية التي أرادها الله تبارك وتعالى ، يجب أن يكون المتصدر للتربية والتعليم أن يتصف بالصفات التي وردت في قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح التي كان فيها العبد الصالح القدوة المختارة لنا ومن هذه الصفات:

- **عبودتيه لله تعالى..**

نصت الآية الكريمة على المعلم انه كان من عباد الله ، قال تعالى ﴿عبداً من عبادنا﴾[٢] وهذه الصفة من صفات التشريف التي منحها الله لعباده ، إذا اقترنت صفة العبودية بلفظ الجلالة ، ولهذه الصفة توابع يلتزم بها هذا المتصف بالعبودية مثل دوام السكينة والوقار والخشوع لله والخضوع له[٣].

والابتعاد عن الرياء ظاهراً وباطناً ، لأن الرياء وعدم الإخلاص مذموم شرعاً قال عليه الصلاة والسلام (من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار)[٤].

وهذه حالة لا تليق بالمربي أو المعلم ، وكذلك لا يجوز للمعلم أن يغتر بما لديه من العلم ويأخذه الغرور بادعاء تحصيل العلم وتفرده ، وهذا ما أراد الله تبارك وتعالى في تعليمه لسيدنا موسى

(١) ينظر: عوائق في طريق المربي: محمد بن أحمد القيسي ، دار ابن الاثير ، الرياض ، ٢٠١٣م : ١٧.

(٢) سورة الكهف: من الآية ٦٥.

(٣) تذكرة السامع لابن جماعة: ١٥.

(٤) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، نشر مكتبة ابن حجر ، دمشق ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م : ٧٣٩ ، كتاب العلم. باب ما جاء في ذهاب العلم ، رقم الحديث (٢٦٥٤) قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

عليه السلام حين دله على من هو أعلم منه[١] ، ومع ذلك فان الأعلم من تواضعه ومعرفته من حقائق العلم قال ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[٢] أي: ما فعلت ذلك الفعل الذي رأيته من اجتهادي ورأيي ، وانما فعلته بأمر الله تعالى[٣] ، فالعبد الصالح في هذا أرجع العلم الى الله سبحانه ولم يدعيه لنفسه.

• **الرحمة:**

وهذه الصفة الثانية التي اتصف بها العبد الصالح ، قال تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[٤].

إيتاء الرحمة في سياق الآية يراد به النبوة وقيل النعمة والتي منها علم الغيب (فقد كان علم العبد الصالح علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطى ظواهر الاحكام افعاله بحسبها ، وكان علم موسى على الاحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم)[٥].

وقيل: (ان صفة الرحمة هي الاساس الذي يسبق العلم ، وهي البيئة المناسبة لنفع العلم وخبره وبركته ، فإذا نزعت الرحمة من العلم ، واذا لم تسبق العلم ، ولم تكن تمهيداً وأساساً له ، كان العلم شراً وخراباً وتدميراً)[٦] وبهذا المعنى تكون صفة الرحمة التي يجب أن يتحلى بها المعلم في تعامله مع طالب العلم ، تشيع جو المحبة وحسن التلقي والاصغاء والاحترام والفهم.

• **وتأتي الصفة الثالثة وهي العلم المقصود من التعلم فقال تعالى في وصف عبده ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[٧].**

أي: (مما يختص بنا من العلم ، وهو الإخبار عن الغيوب)[٨] ، وهذه المرتبة العظيمة التي شُرف بها العبد الصالح اهلته لان يُتبع من نبي كريم ، يأخذ عنه ويقتدي به في الأسلوب والسلوك ، مما جعل سيدنا موسى عليه السلام أن يصر على لقيا العبد الصالح لما علم من سعة علمه وفيض رحمته فقال ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾[٩] ، فهذا الإصرار على ملاقاة العبد الصالح فيه من الفقه (رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم أو الاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب ، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وان بعدت أقطارهم ،

---

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: التهامي نقرة ، الدار التونسية ، بيروت ، ١٩٧٤م: ١٧٢.

(٢) سورة الكهف: جزء من الآية ٨٢.

(٣) تفسير الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ٢/٧١٣-٧١٤.

(٤) سورة الكهف: أية ٦٥.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية (ت٥٤٤هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ١٠/٤٢٥.

(٦) مع قصص السابقين في القرآن الكريم: صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٩م: ٢٠٧-٢٠٨.

(٧) سورة الكهف: جزء من الآية ٦٥.

(٨) تفسير الكشاف: ٢/٧٠٥.

(٩) سورة الكهف: آية ٦٠.

وذلك كان في دأب السلف الصالح ، وبسبب ذلك وصل المرتحلون الى الخط الراجح ، وحصلوا على السعي الناجح ، فرسخت لهم في العلوم أقدام ، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام..)[١] ، ولا يخفى على كل ذي لب إذا تصدر الجهال في العلم وقالوا بغير المطلوب كما هو الحال في أغلب أحوالنا التي انحدر التعليم الى مستوى غير مرضي بسبب توسد الأمر الى غيره ، فكان ضياع الحق ، والتباس الأمور ، والكلام بالعلم خلاف المقصود.

وتأتي بعد ذلك سعة صدر المعلم في الحوار. والحوار من أساليب القرآن الكريم ، وهو اسلوب تربوي له تأثير بالغ في السلوك ، وقد تجلت قيمة الحوار في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح ، وفيها تجلى أدب الحوار بين العالم والمتعلم ، وفي هذا يقول الشيخ الشعراوي (نلحظ في هذا الحوار بين موسى والعبد الصالح أدب الحوار واختلاف الرأي بين طريقتين: طريقة الاحكام الظاهرية ، وطريقة ما خلف الاحكام الظاهرية ، وان كلاً منهما يقبل رأي الآخر ويحترمه ولا يعترض عليه أو ينكره ، كما نرى أصحاب المذاهب المختلفة ينكر بعضهم على بعض ، بل يكفر بعضهم بعضاً)[٢].

جاء الحوار في السورة بين العالم والمتعلم كالآتي:

أولاً: طلب الصحبة ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[٣] فأجابه العبد الصالح بقوله ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[٤] ونتيجة لإصرار موسى على العلم قال له ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾[٥] فلما تيقن العبد الصالح أن سيدنا موسى عليه السلام مصر على طلب العلم مهما كلفه الأمر اشترط عليه بقوله ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾[٦].

قال ابن عاشور (وأكد النهي بحروف التوكيد تحقيقاً لحصول أكمل أحوال المتعلم مع العالم، لان السؤال قد يصادف وقت اشتغال المسؤول بإكمال عمله فتضيق له نفسه ، فربما كان الجواب عنه بدون شَرَه نفس ، وربما خالطه بعض القلق فيكون الجواب غير شافٍ ، فاراد العبد الصالح أن يتولى هو بيان اعماله في الإبان الذي يراه مناسباً ليكون البيان أبسط ، والاقبال أبهج فيزيد الاتصال بين القرينين..)[٧].

- **استمرار الرحلة:**

بعد أن اشترط المعلم على طالب العلم في علم السؤال ، بدأت الرحلة على ثلاث مراحل:

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/٦.
(٢) قصص القرآن: محمد متولي الشعراوي ، دار الراية للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م: ١١٣.
(٣) سورة الكهف: آية ٦٦.
(٤) سورة الكهف: الآية ٦٧-٦٨.
(٥) سورة الكهف: الآية ٦٩.
(٦) سورة الكهف: الآية ٧٠.
(٧) التحرير والتنوير: ١٠٩/١٥.

• **المرحلة الأولى: خرق السفينة..**

قال تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾[١].

• **المرحلة الثانية: قتل الغلام..**

قال تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً﴾[٢].

• **المرحلة الثالثة: إقامة الجدار..**

قال تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾[٣].

فيظهر من خلال المراحل الثلاثة أن سيدنا موسى عليه السلام كان يستعجل بالأمر وينسى الشرط بينهما فقال في الأولى ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾[٤].

وقال في الثانية ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً﴾[٥].

وفي الثالثة جاء الخطاب من العبد الصالح فقال ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[٦].

النتيجة أن وقع الفراق بينهما بعد أن بيّن العبد الصالح الأسباب التي دعته الى الأفعال المنكرة من قبل سيدنا موسى عليه السلام، وفيما سبق أن الاستعجال أمر غير محمود من طالب العلم بل عليه الصبر حتى النهاية (لأن التريث والمصابرة والانتظار خصال تتسق مع سنن الكون القائمة ونظمه الدائمة)[٧].

وفي مجمل القصة دليل بتوجيه المعلم لمن يتعلم منه بأنه سيحدث له ذكر مما جرى على يده، وعلى الطالب أن لا يتعجل في الرد على معلمه، بل عليه الانتظار حتى ينتهي فعل المعلم، وهذا من آداب التعلم[٨]، فإن استمر الطالب في التعجل ربما يؤدي الى حرمانه كثير من علوم استاذه.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الكهف: آية ٧١.
(٢) سورة الكهف: آية ٧٤.
(٣) سورة الكهف: آية ٧٧.
(٤) سورة الكهف: آية ٧٢.
(٥) سورة الكهف: آية ٧٦.
(٦) سورة الكهف: آية ٧٨.
(٧) خلق المسلم: محمد الغزالي، محمد الشهاب، باتنة، ١٩٨٥م: ١٣٥.
(٨) ينظر: تفسير القرآن الكريم: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ١١٥.

المبحث الثالث

صفات العالم في النص القرآني

من المعلوم أن طلب العلم والمزيد منه أمر شرعي ومدعو له لكل مستويات الناس سواء كان ذلك من أعلى المراتب وهم الأنبياء فمن دونهم ، والدليل على ذلك رحلة سيدنا موسى عليه السلام وهو من أوتي الرسالة والحكمة والتكليم ، وهذا شرف ما بعده شرف ، وقد ضرب نبينا عليه الصلاة والسلام به في الرحلة في طلب العلم برغم ما تكبده من مصاعب ، وارشدنا في ذلك فيما رواه ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل ، فَسُئِلَ أَيّ الناس أعلم ؟ فقال: أنا أعلم فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه، أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين ، هو أعلم منك ، قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له احمل حوتاً في مكتل ، فإذا فقدته فهو ثم...)[1] ، فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على طلب العلم والرحلة فيه وقصد الأعلم حيثما كان ، وفيه أيضاً أن هذا من سنن الأنبياء عليهم السلام، ووضح الحافظ ابن حجر معنى قول سيدنا موسى عليه السلام «انا أعلم» (وليس قول موسى عليه السلام أنا أعلم كقول آحاد الناس مثل ذلك، ولا نتيجة قوله كنتيجة قولهم ، فان نتيجة قولهم العجب والكبر ، ونتيجة قوله المزيد من العلم والحث على التواضع والحرص على طلب العلم..)[2] وقد مثل سيدنا موسى عليه السلام أخلاق وصفات طالب العلم من خلال ما ورد ذكره في القرآن الكريم ، وهذه الصفات هي:

- **بيان الهدف من التعلم:**

قال تعالى على لسان سيدنا موسى A في خطابه للعبد الصالح ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[3] الرشد في الآية: العلم الذي أرشد به في ديني[4].

وعلى هذا الأساس حثت التربية الإسلامية على تحقيق الرشد والهداية من خلال طلب العلم والمزيد منه ، لان في ذلك منع للانحراف نحو المبادئ الهدامة التي تعمل عليها القوى الشاذة الهادفة الى

(١) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م: ٤٣/١. كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم الى الله ، رقم الحديث (١٢٢) ، صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م: ٣٧٦/٢ ، كتاب الفضائل ، باب فضائل الخضر عليه السلام ، رقم الحديث (٢٣٨٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ) ، دار السلام ، الرياض - دار الفيحاء ، دمشق ، ط٣ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٢٩٠/١.

(٣) سورة الكهف: آية ٦٦.

(٤) تفسير النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود (ت٧١٠هـ) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير ، دمشق، بيروت ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م:٣١٠/٢.

انحراف المجتمع عن التوجيه الإسلامي.

• **الاستعانة بالله في الطلب:**

وهذه الصفة هي التي واجه بها سيدنا موسى عليه السلام حين قال له العبد الصالح بعدم استطاعته في الطلب ، قال تعالى ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾[١] هنا سيدنا موسى عليه السلام قرن الصبر بمشيئة الله التي تعين الصادقين في تحصيل المراد ، (وفي تأكيده بالتعليق على مشيئة الله - استعانة به حرصاً على تقدم التيسير تأدباً مع الله- إيذان بان الصبر والطاعة من المتعلم الذي له شيء من العلم أعسر من صبر وطاعة المتعلم الساذج لان خلو ذهنه من العلم لا يحرجه من مشاهدة الغرائب ، إذ ليس في ذهنه من المعارف ما يعارض قبولها ، فالمتعلم الذي له نصيب من العلم وجاء طالباً الكمال في علومه إذا بدا له من علوم أستاذه ما يخالف ما تقرر في علمه يبادر الى الاعتراض والمنازعة ، وذلك قد يثير النفرة بينه وبين أستاذه ، فلتجنب ذلك خشي العبد الصالح أن يلقى من موسى هذه لمعاملة ، فقال له ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ فأكد له موسى أنه سيصبر ويطيع أمره إذا أمره ، التزام موسى ذلك مبني على ثقته بعصمة متبوعه لان الله أخبره بأنه آتاه علماً)[٢].

والثابت أن الله تبارك وتعالى إذا توجه إليه طالب العلم بالكلية مستعيناً به ومتوكل عليه فان الله سيكون معه تيسيراً وصبراً وإعانة.

• **الإصرار على الطلب وتحمل المشاق:**

على طالب العلم لغرض إشباع نهمه من العلم أن يتحمل كل شيء في سبيل تحقيق ذلك ولو طالب الأمر واتسعت المشقة ، وفي ذلك ما قام به سيدنا موسى عليه السلام حين صمم على لقاء العبد الصالح ﴿لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾[٣] أي ألزم نفسي المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى لو بلغ ذلك حقباً[٤].

إن الإصرار الذي اعتزمه سيدنا موسى عليه السلام دعوة الى طلاب العلم بوجوب تجنيد الطاقات في سبيل بلوغ الهدف المطلوب مهما كانت هناك من موانع تقف دون تحقيق ما يسعى إليه ، وهذا ما دعا إليه التربويون بقولهم توجيهاً لطالب العلم أن (يقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب ، وبذل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل فإنها كقواطع الطريق)[٥] ، أما إذا كان الطالب يريد الجمع بين الأمرين حب الدنيا وطلب العلم فإن ذلك لا يجتمع أبداً ولا يتصور وجوده ، لأن لكلا الأمرين طريق خاص به لا يلتقيان ولا يجتمعان.

(١) سورة الكهف: آية ٦٩.
(٢) التحرير والتنوير: ١٠٩/١٥.
(٣) سورة الكهف: آية ٦٠.
(٤) ينظر: تفسير الكشاف: ٧٠٣/٢.
(٥) تذكرة السامع لابن جماعة: ٦٩-٧٠.

• **وهناك آداب ألزم السلف الصالح طالب العلم بوجوب الالتزام بها أثناء التعلم والأخذ عن المعلم لأنها المعين للطالب على دقة الفهم والتوجيه الصحيح للطلب والتأدب مع المعلم..**

منها ما روي عن الإمام علي عليه السلام موجهاً لطالب العلم (إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشي له سراً ، ولا تغتابنّ أحد عنده، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ..)[1] ، وفي نفس السياق يقول النووي (وينبغي له أن يتواضع للعلم والمعلم ، فبتواضعه يناله ، وقد أمرنا بالتواضع مطلقاً ... وينقاد لمعلمه ، ويشاوره في أموره ، ويأتمر بأمره ، كما ينقاد المريض لطبيب حاذق...)[2] ، فإذا تحقق ما تقدم ، كان لزاماً على المعلم محبة طالبه ، ودفعه للإفادة وارشاده الى سبيل الخير وهذا ما تجلى في قصة سيدنا موسىA مع العبد الصالح بكل تفاصيلها.

• **العبر والدروس**

حملت قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح جملة من العبر والدروس العظيمة التي يمكن توظيفها في واقعنا المعاصر لسد الخلل الحاصل في الامة بسبب عدم استثمار تلك العبر والدروس العظيمة ، ويمكن من خلال تلك العبر والفوائد ما يلي:

١- وجوب الفهم المعرفي لتطوير الذات وجعلها مؤهلة لتحتل موقع الصدارة في بث التربية وتعميمها بين الافراد للارتقاء بمكانتهم التربوية وإصلاح الانحرافات المكتسبة من الأساليب التي يسوقها الأعداء ، ويكون ذلك مستمداً من النهج المعرفي الذي اتبعه سيدنا موسى عليه السلام بحيث جعله يضحي بكل شيء ليصل الى هدفه المنشود ، فاختار طريق التعب وتحمل المشقة ليرحل الى من هو أعلم منه ليأخذ عنه العلم النافع ، ويتزود من المعرفة التي كان يجهلها ، ليكون بعد ذلك المعين الذي يستقى منه طلاب المعرفة.

٢- من الدروس المستفادة من القصة: فضيلة طلب العلم والرحلة في تحصيله وطلبه ، مهما كلف ذلك من التعب ، وعلى ذلك يكون طلب العلم من أهم الأمور التي يتزود طالب العلم بها ، فلهذه المعرفة والاطلاع على ما عند العلماء من علوم تنسي طالب العلم ما عاناه من مشقة ، لان العلم أسمى ما يسعى إليه الانسان ، لذا نجد سيدنا موسى عليه السلام يترك بني إسرائيل الذين أرسل إليهم ويمضي الى العبد

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ، تحقيق أبو الاشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م: ٤١٧.

(٢) المجموع شرح المهذب: يحيى بن زكريا النووي (ت٦٧٦هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ٤٦٠/١.

الصالح لعلمه أن ملاقاة العلماء هو السبيل الأجل لتعليم بني إسرائيل وارشادهم الى سبيل الخير ، وفعله ذلك هو إرشاد للأجيال القادمة بأن العلم هو أهم أسباب الرفعة والنهضة والتقدم ، إلا ان اللافت لواقع الأمة اليوم أهم أسباب تخلفه هو الاعراض عن التزود بالمعرفة ، وخصوصاً عند من يتصدر للتربية مكتفياً بزاد قليل لا يرتقي الى واجب التعلم، مع اهتمام العلم الديني الشرعي الذي هو الأساس الذي يبني العقول والنفوس ويرتقي بالواقع الى ما هو أحسن وأصلح.

٣- وترشدنا القصة ونتائجها الى أن الصبر مفتاح كل مستغلق ونتيجة كل فوز ، وثمرة كل نجاح ، ومن ليس له صبر لا يستطيع صحبة العالم ، ولا يحسن الثبات على الطلب ، فلا يمكن للعبد أن يبلغ هدفه إلا بالصبر ، فعظماء التاريخ الإنساني لم يبلغوا المرتبة العليا إلا بصبرهم على تحقيق ما كلفوا به ، لان عظم المسؤولية التي تحملوها لا يمكن أن تتحقق إلا بالصبر ، فاذا اتخذوا الصبر طريقاً ، أمدهم الله وأعانهم وحققوا ما يدعون إليه ، وهذا ما وجدناه متجسداً في صبر سيدنا موسى عليه السلام في ملاقاة العبد الصالح ، وقوله ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ ، دليل على التصميم على لقيا العبد ، والتصميم يستوجب من صاحبه التحمل ، فلذا أخبرتنا القصة أن الصبر والتصميم على اللقيا كانت من أهم أسباب ذلك الطلب.

٤- أن اتخاذ الصاحب في الرحلة والسفر له مردود إيجابي في كون ذلك الصاحب المؤمن فيه خير عظيم ، فيكون منه النصح والحراسة والمشاركة في الطلب ، ولا يكون الصاحب كذلك إلا بالمجانسة والمشاكلة التي تجمع بينهما ، وعندها يحصل التأثر والتأثير ، وعند تدبر القصة بين سيدنا موسى عليه السلام مع فتاه تجد كرم الخلق وحسن المعاملة وجودة المصاحبة ، وفيها أيضاً المشاركة في الطعام والعذر عند حصول الخطأ مع إذهاب الروع والوحشة ، وحلول الانس بتلك الصحبة مع وحدة الهدف قال تعالى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾.

٥- في القصة درس عظيم في التواضع ، ويتجلى ذلك في الرحلة الموسوعية الى العبد الصالح ، فسيدنا موسى عليه السلام على رفعة مكانة وجلالة قدره ومنزلته عند الله ، لم يكن ذلك التكريم مانعاً له من طلب العلم حيث كان ومهما بعدت مكانه ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ فالعظماء وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام هم أكثر الناس تواضعاً ، لأنه لو لم يكن كذلك لا يمكن أن يوصل رسالته الى من يأخذ عنه ، وقد عاصرنا في وقتنا الحاضر أن المتكبرين الذين يشمخون بانوفهم على الناس مهما بلغوا من العلم ، لم تتقبل منهم الطلبة ما يحملون من معارف ، لان النفوس مجبولة على النفور من المتكبرين ، والذين يزدرون الناس ويرون أنهم أرفع منهم منزلة ، فالمربي الصادق في دعوته يكون سهل اللقاء ، حسن الاخلاق ، لا يتكلف في إعطائه ولا يتصنع

في حركاته ، بل سمته البساطة والتواضع وخفض الجناح ، فلما كان قوله تعلى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] وجب على كل انسان مهما بلغ من العلم أن يتعلم من غيره ما يحتاجه في أمور التربية ، والتواضع هو السبيل الضروري لتحصيل العلم ، وهذا ما وجدناه في تواضع سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح.

٦- استخدام الأدب واللطف في الطلب ..

من خلال الحوار بين سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح نجد ان سيدنا موسى عليه السلام اختار الالفاظ المهذبة العبارات المنبئة بالتواضع والتي جاءت مناسبة لمقتضى الحال في تقديم الأمر بصيغة الطلب ، والاستفهام الدال على غاية الاحترام ، عندما طلب منه التعلم والاتباع.

إن هذا الدرس العظيم يرشد المربين على تنمية الاخلاق الفاضلة فيمن يربيهم، لان طلب العلم والتربية يلاحظ ملاحظة دقيقة تلك القيم في شخص مربيه، ويكون التأثر به على مقدار ما يتحلى المربي من صفات حسنة ، ومن لا يتأدب مع الله في سلوكه لا يمكنه أن يؤدب غيره ، فمن الأدب الذي قدمه لنا العبد الصالح مع الله تعالى: إضافة خرق السفينة الى نفسه فقال ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٢] ، أما الخير فانه أضافه الى الله تعالى فقال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[٣] ، مع أن الكل جارٍ بأمر الله وقضاءه.

٧- والقصة بتمامها تمثلت بالجانب التشويقي للحكاية وهو ما يطلق عليه في أنظمة التربية الحديثة: تهيئة الأذهان للتلقي وهو ما تضمنته الآية من تكرار كلمة ﴿فَانطَلَقَا﴾ ثلاث مرات ، لان التكرار هو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة ومقاصده لتوجيه النظر ومناسبة المقام[٤] فضلاً عن أن التكرار يفيد علو الهمة وشدة الطلب وقوة الاندفاع لطلب ما يجهل من العلم، وهو ما يشد الطالب الى معلمه للمزيد.

٨- وأخيراً فقد كشفت لنا هذه القصة جانباً من العلم اللدني الذي وهبه الله لهذا العبد ، والتي انكرها سيدنا موسى عليه السلام مثل خرق السفينة حتى ينجو أصحابها من استيلاء الملك عليها ، وقتل الغلام الذي كان أبواه صالحين ، حتى لا يرهقهما في المستقبل ويؤثر على عبادتهما ، وإقامة الجدار للغلامين ليحفظ لهما الكنز حتى يبلغا أشدهما وينتفعا به ، ويستفاد من هذه الأفعال أدرك سيدنا موسى عليه السلام أن هناك من هو أعلم منه بفضل الله ورحمته.

(١) سورة يوسف: آية ٧٦.
(٢) سورة الكهف: آية ٧٩.
(٣) سورة الكهف: آية ٨٢.
(٤) المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، ١٧١.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً والصلاة الدائمة على سيدنا وإمامنا وقائدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد؛ فالبحث تناول جانباً مهماً هو الجانب التربوي وانعكاساته على الفرد والمجتمع من خلال القصص القرآني في سورة الكهف ، وما دار بين سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح.

- **واتضح لي من خلال البحث:**

١- أهمية القصص القرآني في إيضاح الوسائل التربوية التي تترتب على الصحبة الصادقة المستمدة من تعاليم الإسلام.

٢- أهمية المربي أو العالم التربوية في إرساء التعليم المنتج والتأكد من توافر ذلك في المربي ومن يتصدى للتعليم والإرشاد والتوجيه.

٣- أوضحت الكثير من آداب العالم والمتعلم كالرحمة والتواضع والعلم وغير ذلك مما يهم موضوع العلم وتلقيه والحوار الإيجابي بين العالم والمتعلم.

٤- بينت الآيات القرآنية صفات المتعلم وما ينبغي أن يقوم به من التزامات تجاه معلمه من الطاعة لمعلمه.

٥- اظهرت الآيات القرآنية صفات العالم تجاه تلميذه لتكون هذه الصفات سبباً لتعلق المتعلم بمعلمه.

٦- أن الله سبحانه وتعالى إذا اراد شيئاً هيأ له أسبابه ويسر له وسائله وأن رعايته إذا أحاطت بعبد من عباده صانته من جميع أعدائه.

٧- أن الأخيار من الناس هم الذين يقفون في شتى مراحل حياتهم إلى جانب المظلوم بالتأييد والعون.

وختاماً أسال الله جل في علاه أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي لك والقادر عليه، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

❊ ❊ ❊